جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 48 / حزيران 2026

الدلالة الأخلاقية لمفهوم (الأنـا والآخر) في القرآن الكريم

The ethical significance of the concept of self and other in the Holy Quran

زهراء عبد الستار جبر شلاش
Zahraa Abdul Sattar Jabr Shalash
أ.م.د آيات عبد الوهاب عبد الرزاق
Asst. Prof. Dr. Ayat Abdul Wahab Abdul Razzaq
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Kerbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الرؤية القرآنية، الأنا، الآخر، الأخلاق، الدلالة، الحسنة، السيئة، الحق، الخير، الشر.

Key words: Quranic vision ،self ،other ،ethics ،significance ،good ،bad ،right ،evil.

الملخص:

إنّ تحليل مفهوم (الأنا والآخر) في القرآن الكريم يُبيّن لنا منظومة أخلاقية متكاملة تضبط علاقة الإنسان بذاته وبالمحيط الاجتماعي على حدّ سواء. فالأنا تُقدَّم بوصفها ذاتًا مكلّفة، قابلة للانحراف بالنزوع إلى الهوى والاستعلاء، وقابلة كذلك للترقي بالتزكية والمجاهدة؛ وهو ما يجعل تهذيب الداخل شرطًا لبناء سلوك أخلاقي راسخ. ويحدّد القرآن ضوابط لهذه (الأنا)، منها الوعي بالتحلي بالصفات الأخلاقية الحسنة وترك الأخلاق السيئة.

أمّا بالنسبة لـ(الآخر)، فيظهر في القرآن ضمن دائرة إنسانية واسعة لا تُختزل في الانتماء الديني أو الثقافي، بل تمتد لتشمل المخالف والشريك في الإنسانية. وتقوم الدلالة الأخلاقية هنا على مبادئ العدل، والرحمة وصون الكرامة، وكفّ الأذى، والإحسان، بوصفها قواعد عامة غير قابلة للتغيير حتى في سياقات التوتر والاختلاف. ويؤكد النص القرآني أنّ جودة العلاقة بالآخر تُقاس بمدى التزام الفرد بهذه القيم، لا بمدى قرب الآخر أو بعده فكريًا.

وتُظهر الرؤية القرآنية أنّ تهذيب (الأنا) شرطٌ لبناء علاقة إنسانية سوية، وأنّ تجاوز الأنانية والكبر يمثل أساسًا لإنتاج سلوك عادل يقوم على احترام الآخر والمشاركة في تحقيق الصالح العام. ومن ثمّ يقدّم القرآن تصورًا أخلاقيًا يوازن بين مسؤولية الفرد تجاه ذاته وواجباته تجاه المجتمع، بما يرسّخ نموذجًا للرؤية الأخلاقية الشاملة ويزيد من التكافل والتعايش السلمي في المجتمع.

Abstract:

The analysis of the concept of (the self and the other) in the Qur'an reveals an integrated ethical framework that regulates the human being's relationship with both the self and the social environment. The self is presented as a morally responsible entity ، capable of deviation through the pull of desire and arrogance ،yet also capable of elevation through purification and spiritual discipline. This makes inner refinement a prerequisite for establishing solid ethical conduct. The Qur'an outlines guidelines for shaping this self ،including the awareness required to adopt virtuous moral qualities and abandon immoral traits.

As for the (other,) the Qur'an presents them within a broad human sphere that is not limited to religious or cultural affiliation but extends to include those who differ as well as all who share in humanity. The ethical implications here rest on principles such as justice ،mercy ،preservation of dignity ،avoidance of harm ،and benevolence principles that remain constant even in situations of tension or disagreement. The Qur'anic discourse affirms that the quality of one's relationship with the other is measured by one's commitment to these values ،rather than by ideological or intellectual proximity.

The Qur'anic vision demonstrates that refining the self is fundamental to establishing sound human relationships ،and that overcoming selfishness and arrogance forms the basis for generating just behavior grounded in respect for others and contributing to the common good. Accordingly ،the Qur'an offers a moral outlook that balances personal responsibility toward the self with obligations toward society ،thus reinforcing a comprehensive ethical model that enhances solidarity and peaceful coexistence within the community.

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأتّم المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛ فإنّ قضية (الأنا والآخر) من القضايا التي ترتبط بالهوية الدينية، والاجتماعية في بناء العلاقات الحضارية والثقافية فضلاً عن الجوانب الإقتصادية والسياسية، إذ تُعدُّ من القضايا المهمة لأنّها تدخلُ في جميع شؤون الحياة، ويجب تسليط الضوء على الرؤية القرآنية لـ (الأنا والآخر) من ناحية التأمل في النص القرآني الذي يتضمنهما ورؤية الحوار القائم بين الأنا والآخر بكل صورة؛ وذلك بالإعتماد على تفسير تلك العلاقة من قبل بعض المفسرين وبيان الدلالة القرآنية من الناحية الأخلاقية ومعرفة الصراع القائم بين (الأنا والآخر) في الثقافات الأخرى وطرق تعايش الفرد مع المجتمع مع كيفية تقبله للآخر.

وقد بيّن لنا القرآن الكريم طرقًا وأساليب متعددة للتعامل مع الآخر، وكيفية توطيد العلاقة بين (الأنا والآخر)، إذْ لايخلو المجتمع من الآخر فلا وجود للأنا بدون الآخر، ومن هذا المنطلق نوضح الدلالة الأخلاقية واختلاف الآخر في الصفات الأخلاقية للوصول إلى التفاهم والحوار معه رغبةً في العيش السليم الذي يخلو من الصراع، فضلاً عن مكانة (الآخر) في المجتمع المسلم.

إنّ بيان الناحية الأخلاقية يؤدي إلى معرفة الهوية الدينية الحقيقية، فإذا كانت تتسم بالأخلاق الحسنة، تؤثر على الفرد تأثيراً كبيراً وتظهر جلياً في معاملته للآخر، والعكس إذا كانت تتسم بالأخلاق السيئة.

قُسمت خطة هذا البحث على مبحثين: الأول الدلالة الأخلاقية للأنا والآخر(الأخلاق الحسنة)، والمبحث الثاني (الأخلاق السيئة)، وتدور مشكلة البحث حول بيان الدلالات الأخلاقية التي رسمها القرآن الكريم لمفهومي (الأنا والآخر)، وكيف وجّه من خلالهما السلوك الإنساني نحو الأخلاق الحسنة وحذّر من الأخلاق السيئة ,وتكمن أهمية البحث في إبراز المنهج القرآني في تهذيب الأنا وتنظيم علاقتها بالآخر على أساس أخلاقي، بما يسهم في بناء الفرد والمجتمع.

يهدف البحث الى توضيح الدلالة الأخلاقية للأنا والآخر في القرآن الكريم، وتصنيف الأخلاق الحسنة والسيئة المرتبطة بهذين المفهومين، فضلاً عن بيان أثر هذه الأخلاق في السلوك الفردي والاجتماعي.

المبحث الأول

الدلالة الأخلاقية للأنـا والآخـر (الأخلاق الحسنة)

الرؤية القرآنية للأنا تشكل بُعداً مهماً للجانب الأخلاقي في بناء العلاقات الإنسانية (علاقة الأنا والآخر)، التي تتجلى في كثير من الآيات القرآنية؛ لكون(الأنا) الكيان الذي يُخاطبه التكليف الديني، وأهمية صقله من حيث السلوك والأمور الأخلاقية ومقاومة الذات البشرية في الصراع بين الخير والشر، إذْ (الأنا) تارة تكون فاعلاً إيجابيًا إذا اتسمت بالأخلاق الحسنة، وتارة تكون متكبرة متسلطة منحرفة نحو الأخلاق السيئة. وهنا تظهر أهمية إرشاد القران الكريم للأنا أخلاقياً والحثِّ على السلوك الحسن.

إنّ البحث في علوم القرآن وتفسيره من أسمى ميادين المعرفة وأعمقها أثرًا في فهم هوية الإنسان ومنظومته القيمية، إذ يُعدّ القرآن الكريم المرجع الأساس في بناء الفكر الإنساني والروحي، وفي تحديد العلاقة بين الأنا والآخر، بما يتضمنه من رؤية وجودية وأخلاقية وإنسانية شاملة.

يتناول البحث مفهوم الأنا والآخر بأسلوبٍ شاملٍ يحدّد هوية الإنسان، وينظّم علاقته بخالقه وبنفسه وبغيره، في إطارٍ يقوم على العدل والتعارف والإحسان لا على الصراع أو الإقصاء، وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى تأصيل المفهوم القرآني للأنا والآخر، بعيدًا عن التصورات الفلسفية أو الثقافية التي انفصلت عن المنظور الإلهي، للكشف عن الرؤية القرآنية في بناء الذات المؤمنة وفهمها للآخر على اختلافه، وتتمثل فائدة البحث في توجيه (الأنا) نحو فهمٍ ومعرفة (الآخر)، ممّا يُعيد صياغة العلاقة بينهما على أساسٍ من الرحمة والعدل، ويقدّم أنموذجًا قرآنيًا أصيلًا يمكن الإفادة منه في الدراسات الفكرية والحوارية المعاصرة، وإنّ هذا الموضوع يُبيّن المفاهيم التي تشوّه العلاقة بين الأنا والآخر، خصوصًا في زمنٍ تتكاثر فيه النزاعات الفكرية والثقافية والدينية، مما يجعل العودة إلى المنهج القرآني ضرورةً فكريةً وأخلاقيةً لفهم الذات والآخر فهمًا يحقّق التكامل الإنساني والتعايش السلمي بين المجتمعات.

ويرى الشيخ الشيرازي "أنّ البعض يعتقدون بالأسس الأخلاقية التي تعود إلى العلاقات الإجتماعية مع الآخرين، فلو انعدم المجتمع وعاش الإنسان وحيداً فريداً، أو أنّ كلّ إنسان عاش مستقلاً عن الآخر، لا يعرف عنه شيئاً، فلن يكون هناك مفهوم للأخلاق أصلاً...إنّ كثيراً من الفضائل والرّذائل الأخلاقيّة، لها علاقة مباشرة بالحياة الاجتماعية، ولكنّها ليست بصورةٍ مطلقةٍ، فكثيرٌ من الأخلاق لها جوانب فرديّة، وتصدق على الإنسان الوحيد بصورةٍ خاصةٍ، ويمكن أن تدخل في الإطار الفردي للسّلوك، وتصدق على الإنسان المعزول عن المجتمع"[1]، يبن هنا أن الأخلاق تشمل بعداً فردياً يتمثل بالذات وعلاقتها مع الخالق كالصبر والشجاعة، وبعداً جماعياً يتمثل بـ (الانا والآخر) كالعدالة والكرم وغيرها تحدد قيمتها من خلال التفاعل مع الآخرين، ونلاحظ ان هذه الصفات لاتعرف بالإنسان اذا كان وحيدًا، أي لابد من وجود الآخر.

يعتقد بعض الفلاسفة بعدم وجود إنسانٍ مفطورٍ على الكمال حتى يوجد فيه تفاوت أصلاً، وأن تكون سائر أفعاله وسيرته وأخلاقه تجري على العدل والإنصاف، من غير ميل إلى أحد الأطراف أو غلبة من بعض الأضداد على بعض، أي أن الفطرة مصنوعة من متضادات، فأن كل فطرة إنسانية، إذا قلّتْ المنافرة في عناصرها، كانت إلى الإعتدال أقرب، وكلّما كثرت المنافرة كانت من الإعتدال بتنافر الطباع واعتدالها[2].

عُرِّفت الأخلاق بأنّها عبارة عن هيئة للنفسِ راسخة تَصدُر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غَيرِ حاجة إلى فكرٍ ورويّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسَنة كانتِ الهَيئة خُلقًا حَسَنًا، وإن كان الصَّادِرُ منها الأفعال القَبيحةَ سُميَتِ الهَيئةُ التي هي مصدَر ذلك خُلْقًا سَيِئًا[3].

ويُعزز ذلك قول الإمام الصادق (ع): "الخُلق منيحة يمنحها الله عزوجل خَلقه، فمنه سجية ومنه نية، قلت: فأيتهما أفضل؟ فقال: صاحب السجية هو مجبول لا يستطيع غيره، وصاحب النية هو الذي يصبر على الطاعة تصبرًا،

فهو أفضلهما"[4]. يكشف لنا هذا القول الشريف أهمية الأخلاق الحسنة في الإسلام والتحلي بها، والإبتعاد عن الأخلاق السيئة التي تأخذ الإنسان الى الهاوية والإنحدار.

ويرى بعض الباحثين أنّ القرآن الكريم مهتم اهتمامًا كبيراً في بناء منهج حياة متكامل تسير عليه الأمة الإسلامية مما يسهم في توطيد العلاقات الإنسانية وتأسيس مكارم الأخلاق لتربية الإنسان فردًا وأسرةً وجماعة، ودولةً وأُمةً، ويُعدْ أسلوب الترغيب في الأخلاق الحسنة، والترهيب عن ضدها من أهم ما يمتاز به المنهاج القرآني، ويكون ذلك بتأكيد أنّ الله سبحانه وتعالى يُجازي من يتمسك بالأخلاق الحسنة ويثيب كل إنسان بعمله، ويُجازي من يجحدها ويتمثل بما يضادها، وقد تعدد في النص القرآني صورة الزجر والوعيد والوعد والترغيب ترمي كلها إلى إشعار الإنسان بمقدار ما تقتضيه خلافة الإنسان عن الله في الأرض من تحقيق مكارم الأخلاق[5]. أي لابُدَّ للمرء أنْ يطمح للوصول إلى التكاملات الأخلاقية الحسنة ويتصف بها؛ لما لها من أهمية كبرى في بناء حياة الفرد وتعايشه مع الطرف الآخر.

ويُمكن إجمال الأخلاق والصفات الحسنة بما يأتي:

1. الصبر: هو من القيم الأخلاقية العليا في المنظور القرآني، إذْ يسهم الصبر في تهذيب النفس الإنسانية والسيطرة على الإنفعالات وكبح الشهوات، ومواجهة الظروف القاسية.ذكر الآملي "أنْ الصبر هو تحمل ماتكرهه النفس"[6]، ويشمل جميع موارد الصبر كالصبر على المعصية أو الصبر على طاعة الله.وتؤكد الروايات الشريفة عن أهل البيت (ع) بأهمية هذه الصفة وبيان مكانتها، اذ رُوي عن أمير المؤمنين(عليه السلام): "الصبر أحسن حلل الإيمان، وأشرف خلائق الإنسان"[7]. وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان"[8]، وكثيرا ما ورد في القران الكريم آيات قرآنية تحث على الصبر وضرورة التحلي به، **كقوله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[9]، بيَّن الطباطبائي في تفسيره "أنّ الصبر يُراد به الصبر على الشدائد، والصبر في طاعة الله، والصبر عن معصيته؛ وعلى أي حال هو الصبر من الفرد بقرينة ما يقابل والمصابرة هي التصبر وتحمل الأذى جماعة باعتماد صبر البعض على صبر آخرين، فيتقوى الحال ويشتد الوصف ويتضاعف تأثيره، وهذا أمر محسوس في تأثير الفرد إذا اعتبرت شخصيته في حال الانفراد، وفي حال الاجتماع والتعاون بإيصال القوى بعضها ببعض"[10].

ويبدو لي أنّ ارتباط الصبر بـ (الأنا والآخر) يكون من جانبين، الأول يكون على الصعيد الفردي و هو الصبر على هوى النفس أي يكون صبرا ذاتيا نابعاً من ذات الشخص يستطيع التحكم فيه عن طريق قوة إيمانه للسيطرة على المعاصي. أمّا الثاني فيكون على الصعيد الجماعي أي الصبر على اذى الآخرين وكيفية التعامل معهم للوصول إلى درجة الإحسان ونَيل رضا الله تعالى.

2. الرضا: يُعدُّ الرضا من أسمى الصفات الأخلاقية التي يتصف بها المؤمن، فهي صفة تضيف للنفس الهدوء والاستقرار النفسي والقبول بقضاء الله وقدره وإتباع أوامرهُ وإجتناب نواهيه. قال الشيخ الطوسي: "الرضا هو ثمرة

المحبة ومقتضى عدم الإنكار، سواء في الظاهر أو الباطن أو القلب وسواء في القول أو العمل"[11]. ويُعرَّفُ الرضا بأنه ترك الإعتراض والسخط على المقدرات الإلهية باطنًا و ظاهرًا، قولاً و فعلاً، و هو من ثمرات المحبة ولوازمها، إذْ المحب يستحسن كلما يصدر عن محبوبه، و صاحب الرضا يستوي عنده الفقر والغنى، والراحة والعناء، والبقاء و الفناء، و العز و الذل، و الصحة و المرض، و الموت والحياة، و لا يرجح بعضها على بعض، ولا يثقل شيء منها على طبعه، إذْ يرى صدور الكل من الله تبارك وتعالى، و قد رسخ حبه في قلبه، بحيث يحب أفعاله، و يرجح على مراده عزَّ وجل، فيرضى بكل مايحصل له [12]. إنّ الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم المطلق له تبارك وتعالى تزكي النفس وتبعث انشراح في الصدر، وإنّ عدم الرضا أمرٌ غير مستحسن؛ لأنّه ناتج من السخط على قضاء الله وقدره ويبعث في النفس قلقا واضطرابا فلابد للمرء ان يتصف بالرضا مؤملاً رحمة الله تعالى ورضوانه عليه، قال أميرُ المؤمنين (عليه السلام): "ما أحبُ أنّ لي بالرضا في موضع القضاء حمرُ النعم"[13]، يؤكد هذا القول بضرورة الرضا في الحياة الدنيا وتبديله على أنواع النعم بكل أصنافها واشكالها.

وقد جاء في القرآن الكريم **قوله تعالى:** { **وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقى** }[14]، تُبيّن لنا هذه الآية الكريمة بأنّ القول موجه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن المُراد به عامة الناس، الآية تجسد البعد الأخلاقي للرضا من ناحية القبول بما عندك والرضا به مع عدم المقارنة بالآخرين؛ لكي تسود المحبة بين (الأنا والآخر) وتصفو العلاقة بينهما. يرى الطباطبائي في تفسيره "أنّ المُراد بهذه الآية هو عدم إطالة النظر إلى زينة الحياة الدنيا وبهجتها التي متعنا بها أصنافاً أو أزواجاً معدودة منهم لنمتحنهم فيما متعنا به، والذي سيرزقك ربك في الآخرة خير وأبقى"[15]. وهذا يُساهم بشكل كبير في تقبل الطرف الآخر والعيش معه، مع عدم النظر الى رزقه والتدخل في شؤون حياته؛لأنّ ذلك يولد في النفس الجشع والطمع ويضعف صلة النفس بالله تعالى.

3. الصدق: يُمثل الصدق قيمة أخلاقية عالية في بناء شخصية الإنسان الحقيقية من دون تزييف أو خداع، فقدرته على الصدق هذا بحد ذاته شجاعة وإيمان مبني على طاعة أوامر الله تعالى، ويضمن التواصل الحقيقي مع الآخر مع الشعور بالأمان من دون كذب، فيتحقق بذلك التكامل الأخلاقي الذي يعزز تماسك المجتمع الإسلامي، وقد وصف الله تعالى الأنبياء والصالحين بهذه الصفة العظيمة ومثالنا في ذلك نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) إذْ عُرف بـ (الصادقِ الأمين)، رُوي عن الامام الصادق **(عليه السلام)** انه قال: " كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم؛ ليروا منكم الإجتهاد والصدق والورع "[16].

ويُعرف "الصدق بأنّه مطابقة الكلام الإخباري للمخبر به، أو لاعتقاد المخبر أو لكليهما، ويستعمل الصدق في الاعتقاد المطابق للواقع وفي الفعل الموافق للقول، وفي كل فعل خارجي إذا وقع على النحو الذي يترقبه ,ويكون الصدق في الظن، والصدق في الوعد، والصدق في القتال او العطاء او الكلام وغير ذلك"[17].

والصدق أهم خُلق يتحلى به المُسلم كالصدق مع الله أو مع نفسه أو الصدق مع الآخر في الحديث أو المعاملات وعدم الخداع والغش؛ لينال بذلك مرضاة الله عزوجل والحصول على توفيقه ونيل بركاته فضلا عن علو منزلته في المجتمع. امر الله تعالى بالصدق في كثير من النصوص القرانية **كقوله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ**

كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[18]، وذكر الشيخ الطبرسي في تفسيره "أنّ الله تعالى أمر المؤمنين بالإتصاف بالخُلق العظيم (الصدق) وبيَّن الصادقين هم الذين يصدقون في أخبارهم، ولا يكذبون، أي كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله، وصاحبوهم ورافقوهم، كقولك أنا مع فلان في هذه المسألة أي أقتدي به فيها"[19]. فأمر سبحانه بالإقتداء بهؤلاء الصادقين المتقين .

4. كظم الغيظ: يُعدُّ هذا الخُلق العظيم من الأخلاق التي أكد عليها القرآن الكريم؛ لإتصاف حامل هذا الخلق بالتقوى والإيمان وقدرته على التحكم في زمام الأمور من خلال ترويض النفس على إكتساب هذه الفضيلة والتحلي بها لتقيه من الوقوع في الخطا والندم وسخط الله تعالى عليه.

ويُعرَّفُ بأنّه "ضبط النفس إزاء مثيرات الغضب، وهو أشرف السجايا وأعزُّ الخصال، ودليلاً لسمو النفس وعلوها"[20] ولابُدَّ أنْ يكون كظم الغيظ وإضماره طلباً لرضا الله تعالى فبعضهم قد يكون كاظماً للغيظ وفي نفسه حقد وغل فيريد أنْ يشفي غيضه بالإنتقام إلا أنّه غير قادر على ذلك، أما كاظم الغيظ الذي يكون قادراً على الإنتقام أو الرد على الآخر إلا أنّه يترك ذلك قربة لله تعالى ورجاء ثوابه[21]، وأجمل ما قيل في ثواب كظم الغيظ: "إن الله تعالى يحشو جوفه نورًا، ويراهُ الإنسان بوضوح عندما يتعالى على مقتضى طبيعته الثائرة، فلا يظهر ما يغلي في داخله من الغضب، خوفاً من أن يُنزلّ في القول فيثير عليه غضب ربّ العالمين.. وأن الله تعالى طالما عفا عنّا رغم إكتمال كل موجبات الإنتقام، إلا أنه يمهل عبده لعله يعود إلى رشده"[22]. قد مدح الله تعالى هذا الخُلق الرفيع وأكدَّ عليه في القرآن الكريم **كقوله تعالى: {وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}**[23]، يتبيّن لنا "إنّ القرآن يأمر المسلم بأنْ يكظم غيظه أولاً ثُم يطهّر قلبه بالعفو عنه، ثُم يطّهر فؤاد خصمه من كل رواسب الضغينة وبقايا العداء بالإحسان إليه، وإنّه تدرج عظيم من صفة إنسانية خيرة إلى صفة إنسانية أعلى هي قمة الخلق وذروة الكمال المعنوي"[24].

وقد ذكر الطريحي في تفسيره معنى كظم الغيظ "هو قدرة الإنسان على تجرع هذه الصفة وهو قادر على الإيقاع بعدوه ورده، وذكر أنّ (الكظم) يعني الحبس للغيظ والحزن ولايشكوه لأحد ,والمكظوم أي المملوء كربا وهماً"[25]. وكثيرًا ماورد ذكره في الروايات الشريفة كقول الامام الباقر (ع): "من كظم على امضائه حشا الله قلبه أمناً وايماناً يوم القيامة"[26]. إنّ هذه الصفة تُبيّن لنا مدى قُدرة تحمل (الأنا) وضبط إنفعالاتها على مواجهة وتمادي (الآخر)، فيُكون صراعًا داخليا بين كظم الغيظ وكبح جماح النفس أو الرد والمواجهة، فإذا إستطاع التغلب على هذا الصراع وحول هذه الحلبة الى ساحة التفاهم والحوار أوالتجاهل للطرف الآخر فسيرتقي بذلك، بغية نيل مرضاة الله تعالى والوصول إلى الكمال المعنوي لتقوية روح الإيمان وترسيخ مبدأ كظم الغيظ في المجتمع الإسلامي يحد من الجرائم والإنحدار وكثير من الصفات غير الأخلاقية.

5. التوكل: هو إعتماد الفرد وتفويض جميع أموره على الله، أو هو حوالة العبد جميع أموره على الله، أي التبري من كل حول و قوة، والإعتماد على حول الله و قوته، و هو موقوف على أنْ يعتقد إعتقادًا جازمًا بأنّه لا فاعل إلاّ الله، و أنّه لا حول و لا قوة إلاّ بالله، و أنّ له تمام العلم و القدرة على كفاية العباد، ثم تمام العطف و العناية و الرحمة بجملة العباد و الآحاد، و أنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة، و لا وراء منتهى علمه علم[27].

وقد جعل الله تعالى "التوكل من دلائل الإيمان، وسِمات المؤمنين ومزاياهم الرفيعة، الباعثة على عزّة نفوسهم، وترفعهم عن إستعطاف المخلوقين، والتوكّل على الخالِق في كسب المنافع ودَرءِ المضار، ففيه دليل على عظَمة القدرة الإلهية في أرزاق عبيده، ودفع الأسواء عنهم، وأنّه وحده هو الجدير بالثقة، والتوكّل والاعتماد، دون سِواه، ويكون التوكّل للمرء بـ الرضا بقضاء الله تعالى وقَدره في المسرّات والمكاره، دون تضجّرٍ واعتراض، وتلك منزلةٌ سامية لا ينالها إلاّ المقرّبون"[28].

قد تواترت الآيات القرآنية والآثار الشريفة في الحثِّ على التوكل وحسن الاتصاف به منها: قوله تعالى {اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[29]، يرى السبزواري أنّ "التوكل فضيلة من الفضائل السامية وخُلق كريم من مكارم الأخلاق وخصلة حميدة، ومنزل شريف من منازل الإيمان، ومقام رفع من مقامات الموقنين، بل أفضل مقامات الإنسانية الكاملة، به يظهر المؤمن صدق إيمانه وثبات اعتقاده، ويجتمع فيه كثير من الفضائل والخصال الحميدة، فهو قرين الصدق والعز والاستعانة بالله العظيم وغيرها، وبه ينتظم العلم والحال والعمل"[30].

وفي الروايات الشريفة قول أبا الحسن الأول (ع) عندما سأله رجل عن قول الله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}[31]، فقال (ع): "التَّوكُّل على الله درجات، منها أن تتوكّل على الله في أمورك كلِّها، فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم أنّه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أنّ الحكم في ذلك له، فتوكَّل على الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها"[32].

لقد بين الإمام (ع) صورة واضحة عن حقيقة التوكل على الله تعالى وتفويض الانسان أموره كلها إليه تعالى فان ذلك هو محض الايمان و اليقين بالله.

فنرى أنّ التوكل هو علاقة داخلية بين العبد وربه، فعندما يكون الإنسان متوكلاً حقاً لا يعتمد على (الآخر)، ولا يتكبر عليهم بل يكون تعاملهُ بعدل؛ لأنّه يؤمن بأن الرزق بيد الله تعالى فلا يراه بأنّه مصدر رزقه فيزول من قلبه الحقد والغل، ويتحرر خوفه من الطرف الآخر بسبب الظلم او غير ذلك نظراً لتوكله التام على الله تعالى ولايرى فيه بأنّه مصدر نجاته، فيعمل على إبقاء علاقة متزنة مع الطرف الآخر قائمة على الثقة بالله والعدل من الناس، فالمتوكل يدرك بأن (الآخر) هو مخلوق لاحيلة له ولاشأن وغيرقادر على شيء، فالذي يتوكل على الله لايتبعد (الآخر) ولاينفيه، بل يرى فيه قدرة وإرادة الله في تيسير أموره.

وكثيرًا ماوردت في القرآن الكريم عبارة (إن شاء الله) من قبل بعض الأنبياء عند استعمالهم (الأنا)، وهذا يدلُّ على أنّ الكون والقدرة الإلهية لله فقط، وتنزيه مقام النبوة عن الغرور والتكبر فضلاً عن أنها قاعدة وسيرة حسنة تربى عليها الأمم لما فيها من تسليم مطلق لإرادة الله تعالى، **كقوله تعالى:{ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ }**[33]، أي أنْ لا أفعله، فتسبق مشيئة الله في أن لا أفعله، فلا أقدر على أن أفعله أي أستثني مشيئة الله في فعلك.[34]

قال الشيخ الشيرازي: "إنّ الذات الإلهية المنزهة، والتي هي الكمال المطلق، ومطلق الكمال، وجميع صفاته الجمالية والجلالية، تكون هي المحور الأصلي للمسألة، وكل إنسان يسعى في المضي قدماً، للوصول إلى الكمال المطلق، ويتحرك في حياته المعنوية، من موقع تفعيل نور أسماء الصفات الإلهية في نفسه، ليشبهه ويتقرب إليه أكثر وأكثر

يوما، بعد يوم (وإن كانت ذاته المقدسة منزهة من الشبيه الحقيقي)، ويصل إلى الكمال المطلق، فلا حدّ للكمالِ هناك، وبذلك يعيش بكلّ وجوده، حالة الإستغراق من الحبّ لله تعالى، والكمال المطلق، وتنير وجوده وباطنه، أنوارُ وصفات الذات المقدسة، بحيث يُطلب الكمال والرقي، في الدرجات العليا في كل لحظةٍ، فلا يتقيد بالمنافع الماديّة، ولا يطلب الأخلاق للشخصيّة والاحترام، ولا يكون هدفه الضّمير وحده، بل لديه هدفَ أسمى وأعلى من كلّ تلك الأمور "[35].

ومما قيل في هذا الصدد: " إنّ التوكل هو عدم الإعتماد على النفس والتوكل على الله تعالى؛ لأنّه منافٍ لمعنى التوكل على الله سبحانه، فضلاً عن تمحيض التوكل به تعالى؛ لأنَّ معناه أنّه يتوكل على نفسه لا على ربه، وأمّا من أوكل الأمر إلى نفسه أوكله الله إلى نفسه، فيفشل لا محالة، ولا أقل أنّه يكون بين إحتمالي النجاح والفشل، بخلاف ما لو شعر بالتوكل الحقيقي وإستعان بالله سبحانه فإنَّ الله يعينه لا محالة، وإنَّ الإعتماد على النفس من الشرك الخفيّ، بصفته نظراً إلى الأسباب دون مسببها، فإنَّ من الأسباب في نظر الفرد هو إنجازه الخاص وكدُّ يمينه وعرق جبينه"[36].

إنّ التوكل على الله سبحانه وتعالى أقوم موقف يمكن أنْ يتخذه الفرد مع استعمال ذكائه ورشده وإيمانه بالله تعالى وترك الإعتماد على النفس والتوكل عليها؛ لكونـه غير صحيح دينيًا واجتماعيًا وأخلاقيًا.

المبحث الثاني

الدلالة الأخلاقية للأنا والآخر(الأخـلاق السيئـة)

إنّ دراسة هذا الجانب من الأخلاق تكشف لنا انحراف (الأنا) الفردية أوتصرفات (الآخر) غير المسؤولة والسيئة، فتؤدي إلى الصراع والفساد وتُضعف العلاقات القائمة على الإحترام والثقة، أي عندما تتصف (الأنا) بالأخلاق السيئة تنعكس تلك الصفات سلباً على طريقة معاملته مع (الآخر) مما ينتج نزاعات وصراعات داخل المجتمع الإسلامي، وهذا مما نهى الله تعالى عنه في كتابه الكريم.

ومن هذه الصفات التي تؤدي الى خُلق سيء هي:

1. الكذب: وهو الكلام المخالف للإعتقاد خالف الواقع أم طابق[37]. والكذب صفة تجعل صاحبها ذليلاً وتذهب بماء وجهه واعتباره، وهي أصل الانفعال والخجل واسوداد الوجه في الدنيا والآخرة [38]. والكذب فيه مضرة ومفسدة، كلما كانت مفسدته ومضرته اكبر كان اثمه وعقوبته أشد، وقد يكون الكذب احيانا سببا لتلف الأموال، وهتك الحرمة، وإسالة الدماء.[39] فالكذب من أكبر الكبائر وصفة ذميمة لاتليق بالمؤمن لأنها مفتاح الذنوب وأحد خطوات الشيطان، إذْ أنّها توهم صاحبها بإستصغار هذا الذنب العظيم حتى يعتاد عليه لأنه إنْ قال الصدق تورط بالفضيحة فيصبح كذاباً، فلابد من تدارك الوضع ورجوع العبد المذنب الى الله تعالى لطلب التوبة والمغفرة.

وقد نرى اليوم مايعرف بـ(الدبلوماسية) وهي أخسُّ أنواع الكذب، إذْ تجد الكذب والتصنع المبني على أساس المصالح السياسية تزكم الأنوف رائحته فترى كل منهم يبدي مشاعره الكاذبة، ليفترس محاوره باللف والدوران، وأنهم يعدون ذلك دهاءاً، وحنكة سياسية، والحقيقة هو خداع، وغش، وكذب وغدر لأن المحاور منهم يظهر شيئاً لا يريده،

ويخفي أشياء تضر محاوره يريد تمريرها عليه؛ ليوقعه في الشباك التي نصبها له. أصبح اليوم ضرورة الصدق وعد الكذب حاجة ملحة عند الأمم والشعوب؛ للإرتقاء نحو التقدم والازدهار[40].

وكثيرا ماورد النهي عن الكذب وذمه في القران الكريم والروايات الشريفة منها:

قوله تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّـهِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}[41]، يرى الطبرسي في تفسير هذه الآية "زجر ونهي عن الكذب اذ أخبر الله تعالى أنه إنما يفتري الكذب من لا يؤمن"[42].

إنّ الكذب على الله تعالى ورسوله (ﷺ) والأئمّة المعصومين (ع)، هو أشدّ أنواع الكذب حرمة، وأكثرها قبحاً، وأسواها آثاراً ومرتبةً، فهو من الكبائر، وقد ورد في النصّ أنّه من المفطّرات، لأنه ينسب إليهم ما لم يقولوا ولم يفعلوا من أمور الدنيا والدين. ولا فرق في وضع الرواية عنهم بين أنْ يكون موضوعها ومضمونها حقّاً أو باطلاً، فربّما زيّن الشيطان للبعض وضع الأخبار بحجّة نشر الدين والطاعات، كمن يضع الأخبار للترغيب في القرآن، والحجّ، والزيارة، روي عن رسول الله (ﷺ): "مَنْ قال عليَّ ما لم أقل، فليتبوّأ مقعده من النار"[43]، القسم بالله تعالى على أمر كذباً، وهو من الكبائر[44].وقال رسول الله (ﷺ): "أيكون المؤمن جباناً ؟ قال: نعم، قيل: ويكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: ويكون كذّاباً ؟، قال: لا"[45].

يُبيّنْ لنا رسول الله (ﷺ) مدى قباحة الكذب وإنّ المؤمن لايمكن أنْ يتصف به فهو من الكبائر وعاقبته وخيمة. ويرى أحد الباحثين "أنّ قبح الكذب ذاتّي، يختصّ حرمته بما لا يكون فيه مصلحة عارضيّة أو كانت في الصدق، والا زال قبحه وارتفع إثمه، بل يجب إذا ترتّبت عليه مصلحة واجبة كإنقاذ المسلم من القتل وحفظ عرضه وماله، ويستحبّ أو يباح إذا ترتّبت عليه مصلحة مستحبّة أو مباحة كالإصلاح بين الناس، والغلبة في حالة الحرب وتطييب خاطر الزوجات والأولاد، لكن ينبغي الإحتراز عنه ما لم يضطرّ إليه، والاقتصار على الواجب، فالكذب لمصلحة الجاه أو المال المستغنى عنه محرّم لعدم إيجابه ضرراً أو فساداً أو إعداماً للوجود، غايته فوات بعض الحظوظ النفسانيّة، وأمّا ما لا يستغنى عنه فينبغي للعاقل أنْ يوازنه بمحذور الصدق، ويلاحظ أيّهما أشدّ محذوراً وأعظم وقعاً في نظر الشارع، ويحترز عنه، ومع التردّد يميل إلى الصدق عملاً بالأصل"[46].

الكذب خُلق سيء وفيه مفسدة عامة يؤدي إلى وقوع الناس في المفاسد والمهالك الدنيوية والأخروية، ففي الحياة الدنيا يمارسه الناس لجلب منافع لهم ودفع الضرر عنهم، وتحقيق الغايات والأهداف التي يسعوون من أجلها، أمّا في الآخرة فقد حذر الله تعالى الكاذبين وإنّ مقعدهم النار خالدين فيها.

2. شَهادة الزُور: وردت تحذيرات شديدة لمن يتصف بهذا الفعل الشنيع الذي نهى عنه الله تعالى في كتابه الكريم، وعدَّهُ من المحرمات في الإسلام لتأثيره سلبيًا على الفرد والمجتمع (الأنا والآخر)، وقد بيَّن أنّ لهذه الأفعال تحذير وعقاب شديد، يستوجب على المسلم أنْ يتجنب هذه الأفعال المحرمة؛ لأنها ليست جريمة يعاقب عليها فقط بل تُمثل إنحدار الوعي الأخلاقي للمجتمع لإستبدال الحق والصواب على سبيل المصلحة الفردية وضرر الآخر.

كقوله تعالى في النهي عنها: {وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً}[47]، نرى في تفسير الكاشف أنّ المراد بشهادة الزور هو الحضور. والمراد بالزور الباطل، وباللغو كل ما لا خير فيه، والمعنى إنّ المؤمنين لا يحضرون مجالس الباطل، ولا يعينون أحدا عليه، وبالأولى أن لا يفعلوه، ولا يشتركوا في كلام لا خير

فيه، وإذا مروا به كرّموا أسماعهم عنه، كما نزهوا ألسنتهم عن التفوه به)[48]، تُبيَّن لنا هذه الآية حفظ حقوق الآخرين وصونها وعدم تأدية الشهادة زورًا وكذباً وعدم الحضور في مجالس لاترضي الله تعالى.

وكثيرا ماوردت روايات تحذرنا من شهادة الزور والنهي عنها:

قال رسول الله (ﷺ): " وإنّ من شهد شهادة زور على أحد من الناس علّق بلسانه مع المنافقين في الدرك الأسفل من النّار"[49]، يرى المامقاني أنّه لا خلاف في حرمة شهادة الزور وأنّها تُعَدُّ من المحرّمات الكبيرة [50].

إنّ لشهادة الزور خطراً كبيراً يؤدي إلى إنحراف المجتمع وغياب العدالة التي تضمن حق الفرد والعامة، إذْ تمثل ضررًا واضحاً في تدمير الثقة بين الطرفين (الأنا والآخر)، فيصبح (الآخر) ضحية نتيجة أهواء وتزييف الحقيقة تبعا لمصلحة (الأنا)، وبذلك تعم الفوضى ويفقد المُجتمع قيمته الحقيقية بسبب الزور والظلم.

3. التكبر والاستعلاء: للتكبر آثار خطيرة، ومفاسد كبيرة ذات تأثير على الفرد نفسه وعلى المجتمع في الحياة الدنيا، اذ يؤدي الى إشاعة روح الحقد والبغضاء في المجتمع مما يجعله منبوذاً لايتقرب منه أحد، فضلاً عن العذاب الأليم في الآخرة. ينشأ التكبر من تعاظم (الأنا) وتقديسها لنفسها مما يجعلها محط علو واستكبار غارقة في وهم العجب والإستعلاء، تنظر للآخر بنظرة دونية مهيمنة، مما يفقدها قربها الروحي من الله تعالى، وقد نهانا الله تعالى في كتابه الكريم عن هذه الصفة لما لها من عاقبة لاتحمد وهلاك ابدي.

كقوله تعالى: {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فخور }[51]، "يُبيَّن الله تعالى في هذه الآية ذم صفة (التكبر) ويصفُ صاحب هذه الصفة بالمختال أي من يرى نفسه أفضل تخيلًا منه لا على نحو الحقيقة، والفخور بمعنى المتفاخر في التكبر إستهانة بالناس، وسبب للعداوة، وإثارة للأحقاد الداخلية السابقة، يبين لنا الله تعالى تعاليم في هذه الاية المباركة منها أنْ يكون المسلم بشر الوجه مع غيره وان يعتدل ولايتكبر حتى في مشيته، ولأنّ الله عز وجل أمر لترغيب الناس فيه ومن بغضه وأمر لتحذير الناس منه، علينا أنْ نُنزه أنفسنا في سلوكنا من الخيلاء ومن العيش في الوهم، وأنْ لانتفاخر على الناس فأن كل شيء زائل وذاهب ومرجع البشر الى رب واحد وعادل"[52].

ومما قيل في هذا الصدد أنّ "التكبر ماهو إلاّ حالة تدعو إلى الإعجاب بالنفس والتعاظم على الغير قولاً أو فعلاً ويُعد من أخطر الأمراض الخُلقية وأشدها فتكًا بالإنسان، وأدعاها إلى مقت الناس له وإزدرائهم به، ونُفرتهم منه"[53].

للتكبر أنواع "قد يكون على الله، كما كان لنمرود و فرعون، و سببه الطغيان و محض الجهل، و هو أفحش أنواع الكبر، وقد يكون على الرسل من حيث تعزز النفس و ترفعها عن انقيادهم، وهذا في الشناعة قريب من التكبر على الله، وقد يكون على العباد بأنْ يستعظم نفسه و يستصغرهم، و هذا و إنْ كان دون الأولين، إلا أنّه من المهلكات العظيمة، من حيث إنّه يؤدي إلى مخالفة الله سبحانه، إذ صاحبه إذا سمع من عبد إستنكف من قبوله و اشمأز بجحده، و من حيث إنّ العز و العظمة و العلى لا يليق إلا بالعلي الأعلى، فمهما تكبر العبد نازع الله في صفة من صفاته وهي التكبر"[54].

ويرى أحد الباحثين أنّ للمتكبر صفة مشؤومة تتمثل "بعدم قدرته على فهم الحقائق التي تطرح عليه؛ لأن الكبر يحجبه عن قبول الحقيقة مهما كانت واضحة، وتراه دائماً ينظر إلى الأشياء من خلال المقياس الذاتي لا المقياس

الموضوعي، ولذلك لا يستطيع أنْ يضع الأشياء في مواضعها فهو إنسان غير موضوعي لا يستطيع أنْ يخضع للحقيقة، ولايقتنع بها حتى لو تيقنت نفسه فهو يستهين بالناس ويطعن بهن، ويتجاهل حكم العقل والشرع والقانون"[55].

وللتكبر آثار اجتماعية منها: "ما يتعرض له المتكبر من عزلة عن الناس؛ لأنّ من ترفع عن الناس احتقروه واعتزلوه؛ لأنّ الكبر من الصفات التي تقطع حبائل الألفة والأنس بين الإنسان وأخيه، بل يبدلهما إلى العداء ويفتح على صاحبه باباً من الانزجار العام"[56].

وقد وردت روايات كثيرة عن هذه الصفة الذميمة منها: قول الإمام الباقر (ع): "ما دخل امرؤ شيء من الكبر نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل أو كثر"[57].

وأمّا صفة التكبر فهي صفة يوصف بها الخالق سبحانه. "والتكبر هو إظهارٌ للعظمة، وهو سبحانه الوحيد من الموجودات كلها المستحقُّ لهذه الصفة؛ لأنَّ عظمته واقعيةٌ وحقيقية، فإظهارها ليس بمذموم، بل هو محمودٌ من أجل مصلحة تعود إلى تربية الخلق وتكاملهم. فالتكبر مذمومٌ غالباً إلا منه سبحانه والتواضع محمودُ غالباً إلا منه جلّ جلاله"[58].

والتكبر "مرض أخلاقي يصيب الإنسان، أي حينما يطلق العنان لغريزة حب الذات بغريزة الأنا العمياء كبقية الغرائز، وخطر هذه الغريزة قد يفوق خطر كل غريزة لأنها تستخدم بقية الغرائز لإشباع نفسها فتتفجر غريزة الجنس وغريزة السيطرة وغريزة الغضب... وعلاجها قد يؤدّي إلى الحد من طغيان الكثير من الغرائز الأخرى في الإنسان ذلك أنّ التطرّف في حب الذات الذي يسمى بالأنانية أو عبادة الذات هو في الواقع مرض مسبّب لأمراض أخرى، فأينما وُجِدَ الأنانيون تحوّلوا إلى أزمة ومشكلة"[59].

إنّ "التفاضل الكبريائي، قد يكون أول المعاصي، بل وأصلها، وأساسها تضخم الأنا، ولعلّ اعتبار الكبر والتكبر أصل كل المعاصي، قد يرجع لكون أن هذه الصفة تلازمها لا محالة صفات أخرى من جنس واحد. فالتكبر يجعل الذات أو الأنا تشعر بأنها مركز الكون، وأن ما دونها هوامش وأغيار، فينتج عن هذا الشعور الأناني النرجسي أحياناً، أن تبيح الذات لنفسها ما لا تبيحه لغيرها، وتضفي عليها هالة من التقديس والإكبار، ليصبح الأنا هو الأحق والأعلى، والغير أو الاغيار هم الأدنى والاحقر. والتاريخ لا يخلو من نماذج كهذه.ففي كل عصر نجد نماذج اتصفت بهذه الصفة النازعة نحو المركزية الأنية، كونها غريزة بشرية تأخذ سندها من الغريزة الحيوانية أصلاً والمرتبطة بمسألة التطور العقلي المحدود للإنسان مهما تطور"[60].

إنّ المتكبر يرى نفسه متكاملاً من جميع الجوانب متناسياً عيوبه ونواقصه غافلًا عنها مما ينتج أثرًا خطيرًا على المجتمع من ناحية التكامل الأخلاقي والروحي، ومن الأسباب التي تؤدي الى إنتشار هذه الصفة هو الجهل بقدرة الله تعالى وعدم إدراك عظمته وغياب التواضع الأخلاقي والانبهار بالنفس الدنيوية وكبريائها وعدم التذلل لله سبحانه.

4. الظلم: هو "بخس الحقّ، والاعتداء على الغير، قولاً أو عمَلاً، كالسباب، والاغتياب ومصادرة المال، واجترام الضرب أو القتل، ونحو ذلك من صوَر الظُلامات المادّيّة أو المعنويّة، والظلم من السجايا الراسخة في أغلب النفوس، وقد عانت منه البشريّة في تاريخها المديد ألوان المآسي والأهوال، ممّا جهّم الحياة، ووسمها بطابعٍ كئيب رهيب"[61].

إنّ المعروف عن الظلم هو: "ضد العدالة وهو التعدي عن الوسط في أي شيء كان، وهو جامع للرذائل بأسرها، وهذا هو الظلم بالمعنى الأعم، وقد يطلق عليه الجور أيضاً، وقد يُراد به ما يرادف الأضرار والإيذاء بالغير، من الأقوال والأفعال المؤذية، وهذا هو الظلم بالمعنى الأخص... إنّ الظلم يكون على نوعين ظلم للنفس وهو الذي يكون بمعصية الله تعالى والشرك به، وعدم الإمتثال لأوامره واجتناب نواهيه ومعصيته، أمّا النوع الثاني الذي يكون فيه إنتهاك حق الآخرين، والإعتداء على حقوقهم بغير وجه حق"[62].

وقد وردت آيات كثيرة عن الظلم وعاقبته منها **قوله تعالى: {وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّـهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِين }**[63]، "جميع معاني الكفر والأعمال السيّئة داخلة في مفهوم الظلم بمعناه الواسع، و تُبيّن هذه الآية أنّ الله لا يحب الظالمين و لا يقدم على ظلم عباده بل يوفيهم أجورهم بالكامل"[64].

نرى أنّ هدف الإسلام النهائي هي: "العدالة الشاملة، أوصى بتكليف أتباعه بالقيام بالعدل والمساواة بعضهم مع بعض بغض النظر عن العناوين والاعتبارات الشخصية، ومنع من الظلم وسحق الحقوق أية كانت وقد أولى الإسلام عنايته إلى العدالة إلى حد أنه حكم بعدم صلاحية غير العادل للجلوس في مسند القضاء والحكم حتى ولو كان واجداً لجميع المؤهلات ما عدا العدالة، وجعل من وظائف الأبوين الأساسية رعاية أصول العدل والمساواة بين أولادهم، حتى تتوطد في طبائعهم هذه الصفة المهمة ولا يأنسوا بالظلم والعدوان الآخرين "[65].

إنّ الظلم الذي هو "التجاوز على حقوق الآخرين، ينبع من الجهل العلمي أو الجهالة العملية. وإن أي تجاوز على الآخر فهو يعود على النفس بالتعدي والإساءة دوماً تخص روح المسيء؛ كما أنه لا ينفك الإحسان عن روح المحسن والذي يسري إلى الآخرين هو ظل الظلم وليس الظلم ذاته"[66].

وروي عن شفيع الأمّة محمّد (ﷺ) قوله: " إنّه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرّته حسناته، فيجيء الرجل فيقول: يا ربِّ ظلمني هذا.فيؤخذ من حسناته، فيُجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتّى ما يبقى له حسنةٌ، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل، فلايزال يُستوفى منه حتى يدخل النار"[67].

من ما تقدم نرى أنّ الظلم قد ينتج من التكبر والغطرسة (الأنا) على الـ (الآخر) فيرى نفسه ذا قيمة وشأنٍ عالٍ، فيتولد الظلم والاستغلال تجاه الطرف الـ (الآخر)، إنّ أنواع الظلم مستشري في المجتمعات كأن يكون من سلطة عليا تستغل المواطن لمصالحها الشخصية، وكما بينا أنّ الظلم قد يكون ظلم (الأنا) للنفس الداخلية أو ظلمها للآخر وكلاهما نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن الإتصاف بهما وأمر بالمعاملة الحسنى على الصعيد الفردي والجماعي، إذْ تتجلى في معاملة الأبوين أو الأولاد والزوجة...الخ، فأن في ذلك مرضاة الله تبارك وتعالى.

5. الخيانة:وتعني التفريط في الأمانة [68]، فلقد وضع الإسلام منهاجًا سليمًا للإرتقاء بالواقع الإنساني والسلوكي للحد من الفوضى المجتمعية الناتجة من الخيانة على جميع المستويات سواء في الدين أو المال أو العرض، فالخيانة أحد مظاهر (الأنا)؛ لأنّها تقدم المصلحة الذاتية على حساب الآخر، لقد وردت الخيانة في القرآن الكريم على معانٍ عدة منها: خيانة الله ورسوله متمثلة بترك العبودية وعدم الطاعة، أو خيانة النفس بتضييعها بالشهوات الدنيوية الزائلة، أو تكون خيانة مع الآخر من خلال عدم حفظ المال أو الأسرار أو العلاقات وغيرها من الأمور الاجتماعية.

كقوله تعالى: (وَلَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[69].

ذكر الطبرسي أنّ في هذه الآية "أمراً الله تعالى بترك الخيانة، أي لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول بترك سننه وشرائعه، أي إن من ترك شيئاً من الدين وضيعه، فقد خان الله ورسوله، عن الحسن **(وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ)** يعني الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني الفرائض التي يقول لا تنقصوها، وإنهم إذا خانوا الله والرسول، فقد خانوا أماناتهم. وأنتم تعلمون ما في الخيانة من الذم والعقاب"[70].

وقال صاحب الأمثل مفسرًا هذه الآية: "إنّ الخيانة لله ورسوله، بصورة عامة ترك الواجبات والمحرمات والأوامر الإلهية، و(الخيانة) في الأصل معناها: الإمتناع عن دفع حق أحد مع التعهد به، وهي ضد (الأمانة) والأمانة وإن كانت تطلق على الأمانة المالية غالباً، لكنها في منطق القرآن ذات مفهوم أوسع يشمل شؤون الحياة الإجتماعية والسياسية والأخلاقية كافة"[71]، وقال أيضًا: "بأنّ أحد العوامل المهمّة للخيانة هي الحاجة فإذن لا بدّ للإنسان من تدبير حاجاته وحاجات من يلوذ به المعقولة والمشروعة بصورة حسنة لئلّا يضطرّ إلى كسر قيود الأمانة والتلّوث بالخيانة بدافع من حاجاته المادية والنفسانية"[72].

ومما قيل في هذا الصدد: "أنّ للخيانة آثار ومضار منها إنها تسخط الله عز وجل على العبد، فضلاً عن أنّها داء وبيل إذا استشرى بالإنسان جرده من إنسانيته وجعله وحشًا يهيم وراء ملذاته وهي إحدى علامات النفاق، وتفكك أواصر المحبة والتعاون بين أفراد المجتمع، و تسبب المهانة والذل لصاحبها،وهي طريق موصل إلى العار في الدنيا والنار في الآخرة"[73].

إنّ خيانة النفس تُعد خيانة لل (الأنا) وهذه الأمانة لابدَّ من المحافظة عليها وعدم خيانتها؛ لأنها تقود الإنسان إلى الهاوية فأمرَ الله تعالى بعدم خيانة النفس لما فيه من ضرر يعاقب عليه في الآخرة، فعندما يخون الفرد نفسه بإرتكاب المعاصي وعدم طاعة الله ورسوله يصبح من السهل خيانة الآخر، والخيانة بالنسبة للطرف (الآخر) تكون على جميع الأصعدة (العائلية او المجتمع) يُعدّ هذا الطرف خائناً وغير جدير بالثقة فلا يؤمِن الناس به على أموالهم أو غير ذلك؛ لأنّه يرى مصلحته فوق كل شيء ولايهمه الآخر، فالقرآن الكريم يحذر من الإتصاف بها لما لها من ضرر جسيم على المجتمع وذلك بإضعاف الروابط الإجتماعية والإنسانية وإفساد العلاقات الودية بينهم.

النتائج:

1. يتبَّين أنّ مفهوم الأنا في القرآن الكريم ليس ذاتاً مغلقة أو متعالية، بل هو كيان مؤمن مرتبط بالله سبحانه، يتحقق وجوده بالعبودية والطاعة، لا بالاستقلال والأنانية.

2 . القرآن يقدّم (الأنا) كذات مكلّفة ومحاسَبة، قابلة للسمو بالتزكية، وقابلة للانحراف باتباع الهوى.

والأخلاق الحسنة تُبنى في داخل الأنا عبر خطاب مباشر يحمّل الفرد مسؤولية تهذيب نفسه.

3 . ربط القرآن بين صلاح (الأنا) وبين تهذيب السلوك الظاهر، ما يجعل الأخلاق جزءًا من هوية الإنسان الإيمانية لا مجرد سلوك اجتماعي.

4 . القرآن الكريم يجعل الأخلاق الحسنة شرطًا لتحقيق الاتزان الداخلي، ويعدّها من أهم وسائل ترقية الإنسان في مدارج الكمال الروحي.

5. بناء العلاقة السليمة مع (الآخر) يبدأ من ضبط الأنا، مما يعني أنّ إصلاح الفرد أساس لإصلاح الجماعة، وأنّ القرآن الكريم قدّم نموذجًا تواصليًا يقوم على حسن القول، وترك إيذاء الآخرين، وردّ العدوان بالتي هي أحسن.

6. يقدّم القرآن الكريم بعداً أخلاقياً عميقاً في تهذيب (الأنا) من التكبر والعُجب، ويحثّ على التواضع والصفح والرحمة، باعتبارها أسس العلاقة السليمة مع الآخرين.

7. يُظهر التحليل أن القرآن يجعل البنية الأخلاقية لـ(الأنا) انعكاساً للإيمان؛ فكل خلل في العلاقة بالآخر يعود إلى خلل في الإيمان أو ضعف في الوعي التوحيدي.

8. تتكامل الأبعاد العقدية والتشريعية والأخلاقية لتُنتج رؤية إنسانية شاملة، تحفظ هوية الأنا وحقوق الآخر، وتؤسس لمجتمع قيمي تسوده العدالة والتعاون.

الهوامش:

(1) الأخلاق في القران، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،ج1،ص61-62.

(2) ينظر: فلسفة الاخلاق، الفارابي، ص55.

(3)ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص 101.

(4) ميزان الحكمة، محمد الريشهري ج1،ص 802.

(5) ينظر:المنهاج القراني في البناء الأخلاقي للإنسان وأثره في رواد مراكز القران الكريم وعلومه في دولة قطر / رسالة ماجستير/ مريم حسين علي / 2017م -1438هـ /ص90.

(6) تسنيم في تفسير القران، الشيخ الآملي، ج4،ص189.

(7) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج5، ص17، برقم: 10181.

(8) موسوعة الامام الصادق(ع)، محمد القزويني،ج 13 ص343.

(9) ال عمران: 200.

(10) الميزان، الطباطبائي، ج4، ص93.

(11) اوصاف الاشراف، الطوسي، ص90.

(12) ينظر: جامع السعادات، النراقي، ج3،ص202.

(13) مستدرك الوسائل: الطبرسي،ج2،ص413.

(14) طه:131.

(15) الميزان، الطباطبائي،ج14،ص190-192.

(16) وسائل الشيعة،الحر العاملي، ج12،ص 162.

(17) دروس في الاخلاق، آية الله المشكيني، ص 87-89.

(18) التوبة:119.

(19) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج5، ص142.

(20) أخلاق اهل البيت، السيد مهدي الصدر،ص 35.

(21) ينظر:دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنة، الشيخ جميل الربيعي، ص501.

(22) نحو اسرة سعيدة، الشيخ حبيب الكاظمي، ص175.

(23) ال عمران:134.
(24)مئة موضوع أخلاقي في القران والحديث، السيد حسين الحسيني، ص 280.
(25) تفسير غريب القران، الشيخ الطريحي، ص551.
(26) الكافي،الشيخ الكليني، ج2، ص110.
(27) ينظر: جامع السعادات، النراقي،ج3،ص218.
(28) اخلاق اهل البيت، السيد مهدي الصدر، ص168.
(29) ال عمران:159.
(30) الاخلاق في القران، السبزواري،ص238.
(31) الطلاق:3.
(32) بحار الأنوار،المجلسي، ج 68، ص 129.
(33) الكهف: 23-24.
(34) ينظر:البرهان، البحراني، ج3،ص609.
(35) الاخلاق في القران، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،ج1،ص117.
(36) فقه الاخلاق،السيد الصدر،ج2،ص283.
(37) ينظر:دروس في الاخلاق، المشكيني، ص 187.
(38) ينظر:خمسون درساً في الاخلاق، عباس القمي، ص 86.
(39) ينظر:الذنوب الكبيرة، عبد الحسين دستغيب، ج1، ص 289.
(40) ينظر:دراسات أخلاقية، جميل مال الله الربيعي، ص 284.
(41) النحل:105.
(42) مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي،ج6،ص201.
(43) من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج3، ص569.
(44) الاخلاق الإسلامية، مصطفى قصير، ص 131.
(45) جامع الاخبار، السبزواري، ص417.
(46) كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء، محمد حسن القزويني، ص 289.
(47) الفرقان:72.
(48) الكاشف، محمد جواد مغنية، ج5، ص481-485.
(49) من لا يحضره الفقيه،الصدوق ج 4، ص 15.
(50) مرآة الكمال،المامقاني،459.
(51) لقمان:18.
(52) تفسير نور الثقلين، الحوزي،ج4،ص204،-207.
(53) أخلاق اهل البيت (ع)، مهدي الصدر، ص55.
(54) جامع السعادات، النراقي، ج1، ص385.
(55) دراسات أخلاقية، جميل مال الله الربيعي، ص450.356.
(56) المشاكل الأخلاقية، مجتبى اللاري، ص 106.
(57) بحار الانوار: المجلسي، ج 78، ص186.

(58) فقه الاخلاق,السيد محمد الصدر ,ج1,ص68.

(59) المركز الإسلامي للتبليغ، مجلة المحراب،العدد1105،الانا وعبادة الذات في ثقافة القران الكريم/ https://share.google/nXRIWe4wkx8xvxId7

(60) مجلة المعيار، مجلد25،عدد53،سنة 2021.https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/90

(61) السيد مهدي الصدر، اخلاق اهل البيت ص116

(62) الفضائل والاضداد، محمد الحسيني الشيرازي، ص 170.

(63) ال عمران:57.

(64) الأمثل، الشيرازي،ج15،ص618.

(65) المشاكل النفسية والأخلاقية، مجتبى اللاري، ص 105.102.

(66) تسنيم في تفسير القران، عبد الله الاملي،ج4، ص519.517.

(67) الاخلاق والآداب الاسلامية: عبد الله الهاشمي، ج 2، ص55.

(68) ينظر :المفردات، الراغب الاصفهاني،305.

(69) الانفال: 27.

(70) مجمع البيان، الطبرسي،ج4،ص 457.

(71) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج8،ص169.

(72) الاخلاق في القران، ناصر مكارم الشيرازي،ج3،ص 165.

(73) موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة مؤلفين، ج2،ص256.

المصادر والمراجع:

خير مانبتدأ به القرآن الكريم

1- إبن بابويه القمي، محمد بن علي. (1995). من لا يحضره الفقيه (تحقيق: علي أكبر الغفاري). قم، إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

2- التميمي، فيصل. (2018). مبدأ التعايش السلمي (ط1). النجف الأشرف، العراق: دار الصادقين للطباعة والنشر والتوزيع.

3- جوادي الآملي، عبد الله. (2007). تسنيم: تفسير القرآن الكريم (ج. 15). قم، إيران: مركز نشر الإسراء.

4- جوادي الآملي، عبد الله. (2007). تسنيم: تفسير القرآن الكريم (ج. الجزء المستخدم). قم، إيران: مركز نشر إسراء.

5- الحائري اليزدي، عبد الكريم. (1993). مرآة الكمال لمنطق الملال. قم، إيران: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث.

6- الحر العاملي، محمد بن الحسن. (1988). تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة قم، إيران: مؤسسة آل البيت () لإحياء التراث.

7- الحسيني، حسين، مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث. لبنان: دار البلاغة.

8- الحويزي، عبد علي بن جمعة. (1994). تفسير نور الثقلين (تحقيق: هاشم الرسولي محلاتي) (ط4). قم، إيران: مطبعة الحكمة/مؤسسة إسماعيليان.
9- دستغيب، عبد الحسين. (1983). الذنوب الكبيرة(ج. 1). بيروت، لبنان: الدار الإسلامية.
10- الريشهري، محمد. (1983). ميزان الحكمة (ج. 1). قم، إيران: دار الحديث.
11- السبزواري، عبد الأعلى الموسوي. (2010). الأخلاق في القرآن. القاهرة، مصر: دار الكاتب العربي.
12- الشرباصي، أحمد. (1985). موسوعة أخلاق القرآن (ج. الجزء المستخدم). بيروت، لبنان: دار الفكر العربي.
13- الشعيري السبزواري، محمد بن محمد. (د.ت). جامع الأخبار. قم، إيران: مؤسسة النشر الإسلامي.
14- الصدر، محمد محمد صادق. (2012). فقه الأخلاق.دار الأضواء في بيروت عام 1998.
15- الصدر، محمد مهدي، أخلاق أهل البيت (ع). بيروت، لبنان: دار هدهد للطباعة والنشر والتوزيع.
16- الطباطبائي، محمد حسين. (1417 هـ). الميزان في تفسير القرآن. (ط2). قم المقدسة: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
17- الطريحي، فخر الدين بن محمد علي. (1372 هـ/ 1953 م). تفسير غريب القرآن الكريم. تحقيق: محمد كاظم الطريحي. النجف، العراق: المطبعة الحيدرية.
18- الطوسي، محمد بن الحسن. (1982). تهذيب الأحكام في شرح المقنعة (تحقيق وتعليق: محمد جعفر شمس الدين) (ط1). بيروت، لبنان: دار التعارف للمطبوعات.
19- الطوسي، نصير الدين محمد بن محمد. (1998). أوصاف الأشراف في علم الأخلاق. (تحقيق: حسين الخراساني). بيروت، لبنان: مؤسسة الوفاء.
20- الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد. (1985).السياسة المدنية (تحقيق: ألبرت نصري نادر). بيروت، لبنان: دار المشرق.
21- الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد. (1985).السياسة المدنية (تحقيق: ألبرت نصري نادر). بيروت، لبنان: دار المشرق.
22- القزويني، محمد كاظم. (2000). موسوعة الإمام الصادق () (ج. 3). بيروت، لبنان: دار الحوراء.
23- قصير العاملي، مصطفى. الأخلاق الإسلامية. بيروت، لبنان: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
24- القمي، عباس، خمسون درساً في الأخلاق. بيروت، لبنان: دار التعارف للمطبوعات.
25- الكاظمي، حبيب. (2017). نحو أسرة سعيدة. بيروت، لبنان: دار الولاء لصناعة النشر.
26- كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء (في علم الأخلاق)(تحقيق: الشيخ محسن الأحمدي). بيروت، لبنان: دار الحوراء، 2007.
27- الكليني، محمد بن يعقوب. (2015). الكافي (ج. 1). (تحقيق: دار الحديث). قم، إيران: دار الحديث.
28- لاري، مجتبى. (1998). المشاكل الأخلاقية. بيروت، لبنان: دار الأمير للثقافة والعلوم.
29- المشكيني، علي. (2003). دروس في الأخلاق. قم، إيران: نشر الهُدى.

30-مطهري، مرتضى. (1992). في رحاب نهج البلاغة (ترجمة: هادي اليوسفي). بيروت، لبنان: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
31-مكارم الشيرازي، ناصر. (2000). الأخلاق في القرآن (ج. 2). بيروت، لبنان: مؤسسة الإمام علي (ع).
32-النراقي، محمد مهدي. (2021). جامع السعادات. بيروت، لبنان: دار الولاء لصناعة النشر.
33-النوري الطبرسي، حسين. (1987). مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل قم، إيران: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث.
34-الهاشمي، عبد الله. (1996). الأخلاق والآداب الإسلامية، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
35-موسوعة الأخلاق الإسلامية الدوحة، قطر: إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر. (2012).

الرسائل والأطاريح

1. المنهاج القراني في البناء الأخلاقي للإنسان وأثره في رواد مراكز القران الكريم وعلومه في دولة قطر / رسالة ماجستير/ مريم حسين علي / 2017م -1438هـ.

المجلات والدوريات

1. مجلة المعيار، مجلد25،عدد53،سنة 2021.
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/90
2. المركز الإسلامي للتبليغ، مجلة المحراب،العدد1105،الأنا وعبادة الذات في ثقافة القرآن الكريم/
https://share.google/nXRIWe4wkx8xvxId7